مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
المجلد 16 العدد 2 (2023): 75– 96 ISSN : 1112- 7163 E-ISSN: 2588-1892

أفعال الكلام ومتضمنات القول في سورة "نوح"

Speech Verbs and Implications for Saying in Surat "Noah"

خيرة ولد العزازي [1] ، نعيمة زايدي [2]

1- جامعة يحي فارس بالمدية،كلية الآداب و اللغات،مخبر اللغة و فن التواصل جامعة يحي فارس بالمدية.
ouldlazazika06@gmail.com

2- جامعة بلقاسم سعد الله . الجزائر 2،كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية.
naima.nana1414@gmail.com

تاريخ الاستلام: 21-02-2023 تاريخ القبول: 02-09-2023 تاريخ النشر: 31-12-2023

ملخص:

شهدت الدّراسات اللّغوية تطورا هاما خاصة مع ما جاء به "فردينان دوسوسير" لذا تؤكّد التداولية على ضرورة النّظر إلى استعمال اللّغة؛ لذا تسعى هذه الدّراسة إلى التركيز على إجرائين من إجراءات التداولية؛ أفعال الكلام ومتضمنات القول نظرا لوظيفتهما التأثيرية في العملية التواصلية؛ من خلال دراسة تطبيقية في سورة "نوح"

كلمات دالة:التداولية ،أفعال الكلام، متضمنات القول ، سورة "نوح"

Abstract:

Linguistic studies witnessed an important development, especially with what was stated by "Ferdinand Dussaucer", so pragmatics emphasizes the need to look at the use of language; therefore, this study seeks to focus on two procedures of pragmatics; verbs of speech and the implications of saying due to their influential function in the communicative process; through An applied study in Surat "Noah"

Keywords: deliberative , verbs of speech , implications of saying Surah "Noah"

المؤلف المرسل: خيرة ولد العزازي: ouldlazazika06@gmail.com

مقدمة:

شهدت الدّراسات اللّغوية منعرجا حاسما بدءا ممّا جاء به "فردينان دوسوسير" f.Desaussure و ما شهدته الدّراسات اللّغوية على يده من تطور؛ لذا جاءت التّداولية لتنبّه إلى ضرورة النّظر إلى اللّغة من خلال الاستعمال؛ لكن قبل التطرق إلى إجراءات التداولية يجب تحديد مفهومها لغة و اصطلاحا.

أولاً: مفهوم التداولية:

1 . التّداولية لغة: جاء في "لسان العرب" «تداولنا الأمر: أخذناه بالدّول وقالوا: دواليك: أي مداولة على الأمر ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين النّاس وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة» (أبو الفضل، بن مكرم، و بن منظور ، صفحة 1456) فالمعنى بهذا لا يخرج عن الانتقال والدّوران والتبدل.

وجاء في "أساس البلاغة": « دالت له الدّولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرَّة لهم عليه وأُديل المؤمنون على المشركين يوم بدر وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد، والله يداول الأيام بين النّاس مرة لهم ومرة عليهم» (محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، 1998، صفحة 303)وهي بهذا تعني التّنقل والدّوران والانتقال.

ويشير "طه عبد الرحمن" إلى أنَّ التّنقل والدّوران يدلاّن في استخدامهما اللّغوي على «النّاطقين أو قل معنى التّواصل، ويدلاّن في استخدامهما التّجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين أو قل معنى التّفاعل فيكون التّداول جامعا بين جانبين اثنين هما التّواصل والتّفاعل» (طه عبد الرحمن، صفحة 244).

2. **التّداولية** اصطلاحا: يرجع أول استعمال لمصطلح "تداولية" للفيلسوف الأمريكي "ويليام شارل موريس"Wiliam Charles Mouris سنة 1938 عندما كتب مقالا في موسوعة علمية، حيث ذكر الاختصاصات التي تعالج اللّغة و منها التّداولية التي تعنى «بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها» (آن روبول موشلر جاك، 2003، صفحة 29 .) و اقتصر في دراسة على«ضمائر المتكلّم و الخطاب و ظرفي المكان و الزمان "الآن– هنا" والتّعابير التي تستقصي دلالتها من مقتضيات تكون جزئيا خارج اللّغة نفسها أي في المقام الذي يجري فيه التّواصل». (آن روبول موشلر جاك، 2003، صفحة 29 .)

ويرى "دومينيك مانغونو" "D. Maingueneau" أنّ «حصر مفهوم التداولية أمر صعب جدا نتيجة تشعُّب مصادرها؛ إضافة إلى أنّها لم تظهر في العلوم الإنسانية إلاّ في وقت قريب جدا و في الوقت نفسه تعتمد مفاهيم لغوية جدُّ قديمة إذ لوحظ في التفكير اللّغوي اليوناني الاهتمام الكبير بنجاعة الخطاب في المقام؛ إضافة إلى أنّ الاهتمام بالبلاغة و القوة الإقناعية في الخطاب من اهتمامات التداولية» (Maingueneau Dominique, 1997, pp. 1-3.) لذا يعالجَ المكَون التّداولي —حسب "مانغونو"– « وصف معنى الملفوظات في سياقاتها ». (مانغونو دومينيك، 2008، صفحة 101.)

وهي أيضا– كما يعرفها "فرنسيس جاك""F.jacques"– « تتطرق إلى اللّغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا » (أرمينكو فرانسواز، 1986، صفحة 8)فهي لا تخرج عن كونها تعالج الملفوظات ضمن سياق التلفظ.

تؤكّد هذه التعريفات صعوبة إعطاء مفهوم واحد للتداولية نتيجة علاقاتها بحقول معرفية متعدّدة فهي تشترك مع علم الاجتماع؛ حيث ترصد العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين، لما لها من دور في تحديد طبيعة الحوار و كذا سياقاته؛ كما لها علاقة بعلم الدّلالة من خلال دراستها للمعنى، و علم النفس من خلال رصد الكفاءة التواصلية للمتكلّمين، إضافة إلى علاقتها بتحليل الخطاب من خلال توزُّع الحوار بين الأطراف المتحاورة ؛ تمتزج العلوم السابقة مع التداولية ليأخذ كلٌّ منها بطرف تؤسس به منظومتها النظرية لتصل في الأخير إلى مفهوم شامل لها؛ فهي «علم جديد للتواصل يدرس الظّواهر اللّغوية في مجال الاستعمال» (صحراوي مسعود، 2005، صفحة 16) وهي بهذا تشمل البنية اللّغوية والسياق بكل مكوناته؛ أي دراسة اللّغة في «الطّبقات المقامية المختلفة باعتبارها كلاما صادرا من متكلّم محدّد وموجَّها إلى مخاطب محدَّد في مقام تواصلي محدَّد لتحقيق غرض تواصلي محدَّد». (صحراوي مسعود، 2005، صفحة 26)

وقد تعدّدت التسميات المقابلة للمصطلح الأجنبي pragmatique في النقد العربي المعاصر منها: البراغماتية، البراغماتيك، البراجماتية، البراجماتيك، التداولية، المقامية، السياقية، الذّرائعية، النّفعية، ورغم هذا التّعدد المصطلحي إلاّ أنّ النّقد اللّساني العربي المعاصر اعتمد مصطلح "التداولية" و يعود الفضل في ذلك إلى الباحث المغربي "طه عبد الرحمن" الذي أكّد أسباب اختيار هذا المصطلح دون غيره؛ « وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيغا" لأنّه يوفي المطلوب حقَّه باعتبار دلالته على معنيي

الاستعمال و التفاعل» (ينظر: طه عبدالرحمن، 2000، صفحة 28) ليصبح مصطلح "التداولية" المصطلح المتداول في النقد اللساني العربي المعاصر.

ثانيا: نظرية أفعال الكلام :LA THEORIE Des actes de parole:

تعدّ نظرية أفعال الكلام أحد أهم اللّبنات التي تأسست عليها اللّسانيات التداولية، بل إنّها تشكّل منعرجا حاسما في البحث اللّغوي المعاصر ومنطلقا تأسيسيا للكثير من النّظريات فيما بعد؛ خاصة أنّها ترتبط بوظيفة اللّغة في عملية التواصل حيث غيَّرت النظرة التقليدية للّغة التي كانت محصورة في الوصف والإخبار إلى كونها فعلا مجسدا في الواقع.

1. **"أوستين" و نظرية أفعال الكلام:**

يعود الفضل في إرساء دعائم هذه النظرية لـ "جون ونغاشو أوستين" **John 'langshaw Austin** على الرغم من أنّه لم يؤلف كتابا بل نشر بعض المقالات؛ وبعد وفاته – سنة 1960– قام طلبته بجمع محاضراته و صدر له كتاب في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول: أوراق فلسفية ؛ الجزء الثاني 1962 : المعنى و الإحساس، الجزء الثالث: كيف نصنع الأشياء بالكلمات How to do thing with words والذي ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان: **Quand dire c'est faire** (J.L.Austin, 1970.) حيث انطلق من مساءلته لوظيفة اللّغة و التي تتجاوز الإخبار إلى« وظيفة التأثير الاجتماعي في الآخرين عبر ما يعرف بصيغ العقود أو الصيغ الإنشائية » (يونس محمود، 2004، صفحة 35.) فالملفوظ يتجاوز كونه ملفوظا لغويا إلى "فعل" إنه« بمثابة عمل حقيقي يضاهي الحدث المادي المنجز بواسطة اليد على سبيل المثال» (بلانشي فيليب، 2007، صفحة 55.)؛ إذ يخضع الفعل لقصد المتكلّم حيث يكون هذا القصد الفيصل في تحديد غرض الفعل.

أ. الفعل الإنجازي والفعل اللّغوي: للأفعال التي ينتجها المتكلّم جانبان: جانب إنجازي وآخر لغوي:

- **الفعل الإنجازي: l' acte performative** : في محاضرته الأولى قسم "أوستين" الملفوظات إلى ملفوظات خبرية énonces constatifs وملفوظات إنجازية énonces performatifes فالملفوظات الخبرية « تتمثل مهمتها في وصف الظّواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون» (صابر الحباشة، 2010، صفحة 199.)أي وصف أحداث العالم الخارجي إذ يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب من خلال مطابقتها أو عدم مطابقتها للواقع ؛أما

الأفعال الإنجازية «هي أقوال لإنجاز ضرب مخصوص من العمل لا يمكن أن ينجز بشكل آخر..» (صابر الحباشة، 2010، صفحة 200) أي أنّنا ننجز فعلا حين التلفظ ولا يمكن الحكم عليها الصدق أو الكذب ؛أي أنّ قول شيء يعني إنجازه ؛ و يمكن الحكم على هذه الأفعال بالنجاح أو الفشل وليس بالصدق أو الكذب .

- **الفعل اللّغوي وخصائصه**: يعرفه "ديكرو" بقوله :«كل نشاط يقوم به شخص معين ويمكن أن نحدّده انطلاقا من التّغيرات المتعلّقة بالوضع الفيزيائي أو الاجتماعي للمتكلّم» (Ducrot Oswald, 1972, p. 77) وَ يتميز بأنه يغير واقعا كما أنّه لا يخضع لمقياسي الصدق أو الكذب إنّما لمعياري النجاح أو الفشل اللّذان يخضعان بدورهما لشرط المواضعة (convention) فإذا قال شخص ما : الجلسة مفتوحة و لم يكن هذا الشخص رئيسا للجلسة فإنّ قوله يعتبر فاشلا إذ لا يترتّب عنه إنجاز أي فعل لأنّه لا يملك سلطة افتتاح الجلسة (Ducrot Oswald, 1972, p. 77)؛ و قد قيد "أوستن" الملفوظات الإنجازية بمجموعة من الشروط، إذ يؤدي الالتزام بها إلى نجاح الفعل بينما يؤدي خرقها إلى الإخفاق: (J.L Austin, p. 49)

1: أ: لا بد من توفّر إجراء عرفي مقبول يقتضي ألفاظا محدّدة يتلفظ بها أشخاص محدّدون في ظروف محدّدة؛ فإذا كان الشخص فاقدا الأهلية للقيام بالفعل وإذا كانت الملفوظات غير صحيحة والظّروف غير ملائمة أدى ذلك إلى الإخفاق.

ب: أن يكون الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء وأن تكون الظّروف مناسبة فالطّلاق له إجراءاته العرفية المخصوصة مثل صيغة الطّلاق وكذا الشخص المؤهل (المناسب) لفعل الطّلاق (الزوج).

2: أ: على جميع المشاركين تنفيذ الإجراء بطريقة صحيحة وكذا الابتعاد عن استعمال الملفوظات الغامضة كأن يقول أحدهم: سأهديك أحد كتبي وهو قد ألّف كتبا كثيرة.

ب: أن يكون الإجراء كاملا بين المشاركين فلا يمكن أن يتم الزواج مثلا إلاّ بالطّلب والقبول وإلاّ اعتبر الفعل ناقصا.

3: أ: على المشاركين في الإجراء إلزام «أنفسهم واقعيا بما ينتج عنه السلوك من عواقب ونتائج» (أوستين، 1991، صفحة 28) أي ما يترتّب وما يتبع ذلك السلوك؛ فإذا قلت لولدك: سآخذك في رحلة نهاية الأسبوع و تراجعت عن وعدك له فقد أسأت الفعل .

إنّ هذه الشروط كفيلة – إن توفّرت– أن تؤكّد نجاح الفعل فإن خالفت الشروط الأولى :(1(أ، ب) 2 (أ ،ب)) كان الإخفاق Misfires وإن خالفت (3 (أ، ب)) وقعت الإساءة .Abuse

غير أنّ " أوستين "– ورغم جهوده المضنية في التمييز بين الملفوظات الإخبارية والإنجازية– ؛ توصل إلى استحالة الفصل بينهما وفق الشروط السابقة ذلك أنّ بعض الملفوظات الخبرية التي تخضع للصدق أو الكذب تحكمها شروط أخرى الأمر الذي جعله يدخل الأفعال الضمنية مقابل الأفعال الإنجازية الصريحة ويلعب السياق دورا مهما في التفريق بينها لتمييز بينهما

ب. التقسيم الثلاثي لأفعال الكلام عند "أوستن": بدأت مرحلة النضج لنظرية أفعال الكلام عند "أوستن" عندما وضع تقسيمه الثلاثي فالمتكلّم عندما يتلفظ فإنه ينجز أفعالا كلامية ثلاثة؛ « الطّرق العديدة التي يكون فيها قول شيء ما هو فعل شيء ما أو في قول شيء ما نؤدي شيئا ما أو عن طريق قول شيء ما نؤدي شيئا ما» (صلاح إسماعيل عبدالحق، 1993، صفحة 183)أي ما الذي نقوله وما الذي نقصده من فعل القول وما الذي يمكن أن يحدثه فعل القول في المتلقي.

- **فعل الكلام التلفظي**: **acte locutoire**: أي (ما الذي نقوله) (صلاح إسماعيل عبدالحق، 1993، صفحة 194) تلك الأصوات التي يصدرها المتكلّم و التي ينتج عنها معنى و دلالة وينقسم إلى ثلاثة عناصر يستدعي كل واحد منها الآخر بشكل تراتبي: (ينظر: نصيرة الغماري، 2006، صفحة 82)
  - **الفعل الصوتي acte phonétique** : وهو النطق بأصوات تنتمي إلى لغة ما.
  - **الفعل التعبيري acte phatique**: أي إنتاج رصيد من الكلمات تكون خاضعة لقواعد نحوية وصرفية صحيحة.
  - **الفعل الإحالي acte rhétorique**: أي دلالة تلك الكلمات بأدائها للمعنى.
- **فعل الكلام الغرضي acte illocutoire**: فحين يتلفظ المتكلّم ينجز معنى قصديا أي تأثيرا مقصودا وعليه؛ فإنّ عملية إنجاز الفعل وتحقّقه متعلقة بقصد المتكلّم وفهم السامع لهذا القصد إذ أنّ « القيمة الغرضية الماثلة في فعل القول التلفظي تخضع للمقام الذي تنجز فيه العملية التواصلية والمواضعة اللّسانية الاجتماعية وأخيرا لعلاقات المتخاطبين» (ينظر: نصيرة

الغماري، 2006، صفحة 86)؛ وقد وضع " أوستين" ثلاثة معايير يمكن من خلالها تحديد الفعل اللّغوي: (J.L Austin, p. 113)

- أنّه منجز في القول نفسه وليس بفعل ناتج عن القول.
- أنّه قابل للتّأويل أي حسب السياق نتيجة خاصيته اللّسانية الاجتماعية.
- يمكن تحديده بواسطة صيغة ما.

- **فعل الكلام التّأثيري acte perlocutoire**: أي ما يحدثه المتكلّم من تأثير على مشاعر وأفكار وسلوكيات المستمع؛ غير أنّ تحقيق التّأثير ليس شرطا لنجاح الفعل التّأثيري فهذه « التّأثيرات ليست نتيجة ضرورية ولازمة في كل أفعال الكلام فهناك أفعال كلام لا تتبعها تأثيرات كلامية سوى إدراك المخاطب لقصد المتكلّم» (هشام عبد الله الخليفة، 2007، صفحة 91)

ج. أقسام أفعال الكلام عند "أوستين" قسم "أوستين" الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام هي: (J.L Austin, pp. 153-163)

- **الحكميات** Les verdictifs وهي كل فعل يدلُّ على إصدار حكم.
- **القرارات Les éscercitifs** و هي كل فعل يدلُّ على اتخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص أو ضده مثل الأوامر والنّصائح.
- **الوعديات** promissif كل فعل يعبر به المتكلّم عن تعهد بفعل مثل: التزم، إعطاء ضمانات.
- **السلوكيات comportatifs** كل فعل يعبّر عن سلوك المتكلّمين مثل شكر، اعتذر.
- **العرضية** éscpositifs كل فعل يدلّ على الإيضاح أي توضيح وجهة النّظر كالإعتراف والإستفهام.

2. "جون سيرل"و نظرية أفعال الكلام: تناول "جون سيرل" "**john searle**" آراء أستاذه بالتّعديل والتّقويم والإضافة إذ حاول وضع نظرية أكثر دقّة و يمكن إجمال ما جاء به فيما يلي:

أ. وضع تقسيما رباعيا للأفعال الكلامية حيث أبقى على الفعلين (الإنجازي والتّأثيري) اللّذين أقرهما أستاذه " أوتين" فنحن حين ننطق نقوم بأربعة أفعال:

- **فعل القول acte dénonciation** :أي التلفظ بألفاظ طبقا للقواعد النحوية والصرفية والتركيبية لتلك اللّغة.
- **الفعل القضوي acte propositionnel** : يقابل الفعل الدّلالي عند " أوستين" وقد قسمه "سيرل" إلى قسمين: الفعل الإحالي acte de réference والفعل الحملي acte de prédication أي الإسنادي، أي أن تسند نسبة المحمول إلى الموضوع المحال عليه:
- فلو قلنا: أحمد يجتهد في دراسته.
- لو يجتهد أحمد في دراسته.
- هل يجتهد أحمد في دراسته؛ فإنّ المحتوى القضوي للجمل الثلاث (اجتهاد أحمد) أما المرجع فهو (أحمد).
- **الفعل الإنجازي** :**acte illocutionnaire**: أي مقصد المتكلّم من التلفظ، فهو في الجمل الماضية يختلف؛ ففي الأولى الإخبار وفي الثانية التمنى وفي الثالثة الاستفهام.
- **الفعل التأثيري** :**acte perlocutionnaire**: أي تأثير فعل القول على المستمع غير أنّ "سيرل" لم يعطه أهمية كبيرة لأنّه حسب رأيه « ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما». (محمود أحمد نحلة، 2002، صفحة 73)

ب. جعل "سيرل" أربعة شروط للفعل الكلامي إذا تحقّقت يتحقّق الفعل وهي شروط الملاءمة: (Voire J.R Searle, 1972, p. 111)

- **شرط المحتوى القضوي règle du contence propositionnel**: أي أن يكون للكلام معنى قضوى وهو المعنى الأصلي للقضية.
- **الشّرط التمهيدي règle d'introduction**: ويرتبط بثقة المتكلّم من قدرات المستمع على إنجاز ذلك الفعل.
- **شرط الإخلاص règle de s'incérité**: ويرتبط بصدق المتكلّم وإخلاصه في أداء الفعل.
- **الشّرط الجوهري règle éssentielle**: يتحقّق حين يؤثر المتكلّم في السامع لانجاز الفعل.

ج. ربط "سيرل" بين الفعل الكلامي والعرف اللّغوي الاجتماعي أي عدم اقتصاره على مقصدية المتكلّم.

د. ميز "سيرل " بين الأفعال اللّغوية المباشرة حيث تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلّم؛ أما الأفعال اللّغوية غير المباشرة فهي« التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلّم فالفعل الإنجازي يؤدي على

نحو غير مباشر من خلال فعل انجازي آخر» (محمود أحمد نحلة، 2002، صفحة 81) فلو قلت: هل تناولني الملح ؟؟ فإنّ معناه الحرفي هو الاستفهام بدليل أداة الاستفهام (هل) وفي الحقيقة السائل لا ينتظر جوابا؛ بل المراد هو أنّه يطلب الملح بطريقة مهذّبة؛ لذا فإنّ القوة الإنجازية لهذا القول تخالف قوته الحرفية.

لقد وضع "سيرل" ثلاثة فروق يمكن من خلالها التّمييز بين الأفعال اللّغوية المباشرة والأفعال اللّغوية غير المباشرة: (محمود أحمد نحلة، 2002، صفحة 83)

- أنّ القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظلُّ ملازمة لها في مختلف المقامات أما غير المباشرة فهي موكلة إلى المقام الذي يحدّد قوتها الإنجازية.
- يمكن إلغاء القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة.
- القوة الإنجازية غير المباشرة يمكن التّوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية قد تكون بسيطة أو معقدة؛ أما القوة الإنجازية للأفعال المباشرة فتؤخذ من تركيب العبارة مباشرة.

هـ. قسم "سيرل" أفعال الكلام إلى خمسة: (الخليفة، صفحة 125 و ما بعدها.)

- **الإخباريات assertives**: غرضها بيان اعتقاد المتكلّم بخبر ما أو قضية ما ، في مثل هذا النّوع من المقولات يجعل كلماته مناسبة أو مطابقة للعالم الخارجي.
- **التّوجيهات Directives**: وغرضها جعل المخاطب يقوم بعمل ما و المتكلّم في هذه الحالة يريد أو يرغب في تحقيق وضع في المستقبل يكون فيه العالم الخارجي مطابقا لكلماته.
- **الإلزاميات commissives**: تشترك مع الأفعال التّوجيهية في كونها محاولة لتغيير العالم الخارجي حتى يطابق الكلمات ؛ لكن في الأفعال الإلزامية المتكلّم هو نفسه الذي يتعهد بالقيام بالفعل.
- **التّعبيريات éscpréssifs**: المغزى من هذه المقولات التّعبير عن حالة نفسية يحدّدها شرط صدق النية.
- **الإعلانيات:déclaratifs** : و هي التي يتغير العالم بعد النّطق بها و تتجلى أهميتها كونها منطلق اكتشاف" أوستين" لنظرية أفعال الكلام إضافة إلى كونها تؤثّر على المستوى الشّخصي وكذا على المستوى الجماعي.

ثالثا: متضمنات القول:Implicites: يقول "فان دايك":« لقد لاحظنا مرات عديدة أنّ لغة التّخاطب الطّبيعي ليست صريحة ذلك أنّه توجد قضايا لا يقع التّعبير عنها تعبـيرا مباشرا و لـكن

يمـكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عبر عنها تعبيرا سليما» (فان دايك، 2000، صفحة 156) فالأمر إذا يتعلّق برصد جملة من الظّواهر المتعلّقة« بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال و غيره»؛ (محمود عكاشة، 2013، صفحة 83)لقد رفض "ديكرو" حصر وظيفة اللّغة في الإخبار لأنّ التسليم بذلك يعني أنّ كل الأقوال صريحة؛ ذلك أنّ الواقع يؤكّد أنّنا في أحيان كثيرة نقول أكثر ممّا نتكلّم أي أنّنا نُضمّن أقوالنا أكثر من معناها الحرفي و مَن هنا تتجلى أهمية "الضمني" الذي يلجأ إليه المتكلّم لأسباب يحصرها " ديكرو" في ما يلي: (Ducrot D, pp. 5-6)

- وجود محظورات لسانية؛ أي ألفاظ ومواضيع محظورة محاطة بنوع من الصمت؛ لذلك نلجأ إلى الضمني الذي يمنحها فرصة القول مع إمكانية الاحتماء وراء المعنى الحرفي للقول أي دون إرغامنا على تحمل مسؤولية أقوالنا.
- هناك بعض الاتجاهات والتيارات الفكرية التي تلجأ إلى الضمني لنشر أفكارها خوفا من المعارضة.

تحوي متضمنات القول: المقتضى والقول المضمر.

1. **المقتضي**: **présuposition** يحدّد على أساس معطيات لغوية فهو موجود في اللّغة إذ يوجه المتكلّم خطابه إلى المتلقي على اعتبار ما يفترض أنّه معلوم لديه مسبقا؛ فالمتخاطبون ينطلقون من معطيات مسبقة تحدّدها المعرفة المشتركة بينهما أي« الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وَهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة » (صحراوي مسعود، 2005، الصفحات 31-33) ؛ فإذا قلنا: مازال جاك يدخن نستنتج أنّ جاك كان يدخن فيما سبق (O. Ducrot, 1984, p. 18)فهو إذا «ذو طبيعة لسانية بمعنى أنّه يتم إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول» (عمر بلخير، 2008، صفحة 113) ومن خصائصه أننا إذا أدخلنا الاستفهام أو النفي على الجملة المثبتة لم يتغير مقتضى الجملة ؛ ويرى " ديكرو" أنّ وظيفة الاقتضاء تتمثل في الشرط الأساسي للتماسك العضوي للخطاب وأنّها تضمن بأنّ الأقوال تنتمي إلى الحوار وأنّها تمثل نصا واحدا وليس مجموعة من الأحاديث المستقلة وحتى وإن اعتبرناها حشوا فإنّ دورها لا يستهان به في إنجاح العملية التواصلية وفي حفاظ الخطاب على تماسكه.

2. القول المضمر Les sous-entendus: هو «جملة من المعلومات التي يحتويها الخطاب ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث » (Catherine Kerbrat-Orecchioni, p. 39) فهو من المضمر الذي يرتبط بوضعية الخطاب ومقامه عكس المقتضي الذي يتحدّد على أساس معطيات لغوية فهو مسجل في اللغة (Alain Boissinot, 1992, pp. 20-21)؛ إذ للقول حمولة دلالية يكشف عنها السياق فإذا قلنا: جاك لا يكره التبغ فإنّ المتكلّم يتفادى التصريح بحب جاك للتدخين ليتهرب من مسؤوليته أمام المستمع (Ducrot D, pp. 15-16) لذا فالقول المضمر يتميز بعدم استقراره إذ يمكن للمتكلّم الاحتماء وراء المعنى الحرفي لكلامه ويترك مسؤولية تأويل الملفوظ للمخاطب (Ducrot D, p. 19) إضافة إلى أنّ قائمة التأويلات تبقى مفتوحة يحدّدها السياق؛ كما أنّ القول المضمر لا يخضع للنفي و الاستفهام لأنّ المعنى الحقيقي للقول سيختفي بإدخالها على الكلمة المثبتة.

رابعا: أفعال الكلام و متضمنات القول في سورة "نوح": تأخذ سورة "نوج" ترتيبها (71) في ترتيب المصحف و كذا ترتيب النزول؛ تنفرد بقصة نوح –عليه السلام–« تتميز بلهجتها الشديدة و بآياتها المتراصة التي تكرر المعنى الواحد في صيغ مختلفة متناغمة، سورة تدور حول محور واحد في الغالب فتمتاز بوحدة المعنى في إطار من التعبير المتنوع المتدفق» (محمد عابد الجابري، 2007، صفحة 310)؛ تشمل عرضا مفصلا يضعه نوح- عليه السلام- بين يدي ربه حول مسيرته الدّعوية المضنية فهي« نفثة محزون يبين نوح خلالها بلوغ الجهد منه غايته و نفاذ ما في يديه من الوسائل دون جدوى و آن لعدالة السماء أن تتدخل لتحسم الموقف المرير الطّويل » (عبد الصمد عبد الله محمد، 1995، صفحة 16) لذا يُشكّل هذا التّقرير – السورة- حجّة أمام الله على قومه و إقرارٌ منه بيأسه من إيمان قومه.

1. تكليفَ نوحَ – عليه السلام- بدعوة قومه: تفتتح السورة بخطاب موجَّه إلى متلقي القرآن الأول ؛الرسول صلى الله عليه وسلم-فيه إخبار بإرسال نوح إلى قومه« إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه ان أنذر قومك قبل أن ياتيهم عذاب أليم» ؛(إنَّا) توكيد مقترن بضمير الجمع المتكلم (نا) متبوع بفعل ماض مقترن بضمير المتكلّم الجمع (أرسلنا) و يحمل الفعل دلالة الإثبات والتقرير تكمن قيمته الإنجازية في الإخبار بإرسال نوح-عليه السلام - إلى قومه ؛ يقتضي الإرسال رسولا يُحدّده الخطاب القرآني باسمه (نوح) كما يقتضي مرسلا إليه (قومه) والذين لم يذكروا بغير هذا الملفوظ في

كلِ الخطاب القرآني؛ وتكليف نوح بالرسالة يقتضي اصطفاءه ممَّا يعني اختلافه عن قومه وفي الوقت نفسه قربه من السلطة الإلهية التي كلَّفته بأداء الرسالة.

«أن أنذر» مقتضى هذا التكليف إنذار قومه، و الإنذار:« الإبلاغ والإعلام ولا يكاد يكون إلاّ في تخويف » (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، 2006، صفحة 281) وترتبط الشروط التمهيدية بسلطة الله تعالى على المأمور نوح–عليه السلام– ويتمثل تحقيق مضمون الفعل الإنجازي في إعلام نوح بما يترتَّب عن عدم استجابة قومه لدعوته من خلال ما أعدَّه لهم من عذاب أليم ويأتي «أنذر» فعلا كلاميا إلزاميا – أمر– وهو « شكل من أشكال التوجيه الإلزامي؛ إذ ينبني على الأمر كونه يستمدّ طاقته من شخص الآمر و ليس من ذات الصيغة» (عبد الله صولة، صفحة 321) وهو أمر حقيقي «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام» (عبد العزيز عتيق، 2009، صفحة 75) من الأعلى (الله تعالى) إلى الأدنى (نوح) بصيغة صريحة ؛الغرض منه حمل المخاطب على إنجاز فعل الإنذار وفي ذلك إحالة إلى حال قومه و ما هم عليه من شرك يقتضي الإنذار نظرا لما كان عليه قوم نوح « ما جاء عصر نوح حتى عاد النّاس وقد نسوا ما ذكّروا به من قبل من وجوب عبادة الله وحده لا شريك له و يسلّط عليهم الشيطان ليصدّهم عن سبَيل الله واتخذ معهم طريقا آخر غير الذي سلكه مع آدم فلم يقنع بالحث على فعل المعصية بل تعدّى إلى أكثر من ذلك فزيَّن لبني آدم عبادة الآباء و الأجداد والتماثيل والأوثان والأصنام» (الحاج محمد وصفي، 1997، صفحة 71) من جهة ثانية تهديد لهم ووعيد «من قبل أن يأتيهم عذاب أليم» و تعتبر (من قبل) من الواصلات أو المؤشّرات الزّمانية يتحدَّد بعدها الزماني بمقام التلفُّظ (الآن) أي لحظة إرسال نوح إلى قومه و تكليفه بَإنذارهم كما تحيل على أنَّ هناك وقت ينتهي فيه الإنذار و يأتي بعده عذاب أليم إن لم يؤمنوا ؛يحيل هذا التّحديد على فعل كلام مركّب ضمني؛ إذ أنَّ الإتيان بالعذاب الأليم مرتبط بعدم استجابتهم و يأتي "أليم" ملفوظا محمَّلا بطاقة حجاجية مكثّفة؛ إذْ يكفي القول بالعذاب حتى يكون أليما؛ لكن هذه الزيادة في الوصف تزيد من الطّاقة الحجاجية للعذاب.

2. استراتيجية نوح –عليه السلام – في دعوة قومه: بعد التّكليف تأتي مرحلة الدّعوة : «يا قوم إني لكم نذير مبين أن آعبدوا الله و اتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون» يؤكّد إنذار نوح– عليه السلام – قومه نجاح الفعل الإنجازي (أنذر) حيث يتحول نوح– عليه السَلام– إلى مرسل للخطاب إلى مرسل

إليه متعين– قومه– على اختلاف معتقداتهم ووظائفهم و أوضاعهم الاجتماعية و كذا قدراتهم الاستيعابية؛ الأمر الذي يحتّم عليه امتلاك كفاءة حوارية عالية تحوي هذا التّعدّد و الاختلاف والتّفاوت قصد التأّثير فيه وإقناعه بالمعتقد الجديد فهو بهذا لا يعدّل سلوكا بل يغيّر عقيدة تتغيّر معها كل متعلقاتها؛ إنّ نوحا سيتوجه بدعواه إلى متلق متردد و شَاكّ وليس متلقيَ خالي الذّهن (العمري، 2002، صفحة 35)

يبدأ نوح بنداء « يا قوم » وهو فعل كلامي تأثيري وهو يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في قومه من خلال «هيمنة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه» (محمود أحمد نحلة، 2002، صفحة 19) أي يستدعيه لسماع ما يقول وهو الرجل من عامة النّاس وهم القوم بكل انتماءاتهم ومعتقداتهم؛ الأمر الذي يُحتّم على هؤلاء المستقبلين لهذا النّداء تفعيل كفاءاتهم من أجل الاستيعاب الإيجابي للمضامين التي جاءَ بها نوح– عليه السلام–.

« إني لكم نذير مبين » فعل كلام تقريري مؤكّد بـ (إنَّ) المضاف إلى ضمير المتكلّم المفرد و كذا تقديم الجار و المجرور (لكم) لتخصيصهم هم دون غيرهم بالإنذار؛ والنّذير «كونه مهدّدا للعصاة بالعقاب، ومن مبين كونه مبيناً ما أعدَّ الله للمطيعين من الثّواب» (فخر الدّين الرازيَ، 2003، صفحة 175) ويأتي هذا الملفوظ التقريري مؤكّدا بـ(إني) وكذا تقديم الجار والمجرور كما أنّه يحمل حكما تقويميا وهو من أفعال الإثبات حسب "سيرل" والتي تُلزم المتكلّم بصدق القضيّة المعبّر عنها ؛يحيل هذا القول إلى المتضمنات التّالية:

- أنَّه مكلّف بإنذارهم هم دون سواهم.
- أنَّ هناك من كلّفه بإنذار قومه، وهذا يعني أنَّه مرسل من سلطة عليا مُخوَّلٌ لها ذلك.
- تكليفه بإنذار قومه يعني اصطفاؤه من بينهم، وفي الوقت نفسه انتماؤه لهذه السلطة العليا.
- تكليفه بإنذار قومه يحيل إلى حالهم التي هم عليها والتي تقتضي الإنذار.

«أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون » سلسلة من الأفعال الكلامية الغرضية — أمر– تكمن قوتها الإنجازية في النّصح والإرشاد لأنَّ الأمر لا يأتي على وجه الإلزام إنّما النّصيحة الخالصة (ينظر: عبد السلام هارون، 2001، صفحة 112)ويأتي ربط عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله «يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى» فعل كلام تقريري تكمن قوته الإنجازية في الترغيب في الجزاء النّاتج عن الأمر الذي يرتبط بالشروط التمهيدية؛ إذْ يعلم نوح قومه بما يترتّب عن عبادة الله و تقواه و طاعة رسوله وهو وعد يرتبط بالله تعالى (يغفر لكم– يؤخركم)

الذي أرسله و كلّفه بإنذارهم؛ إنّ « وصف الأجل بالمسمى و تعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطّاعة صريح في أنّ لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا» (أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، صفحة 396) و هو المراد بقوله:ُ «إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون» يقابل الوعد بغفران الذّنوب وتأخير الأجل وعيدٌ وتحذير مؤكّد ب ـ(إنَّ) بالأخذ بالعذاب إن لم يؤمنوا؛ يحيل القول على المضامين المضمرة التالية:

أ. أنَّ المكلّف بالجزاء هو المخصوص بالعبادة.

ب. أنَّ الغفران «من ذنوبكم » يحيل إلى أنَّ هناك من الذّنوب ما لا يغفر.

ج. أنَّ هناك أجلا سمَّاه الله يختصُّ هو وحده بعلمه «سمَّاه الله وعلمه قبل وجودكم، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، فيكون موتكم على العادة متفرقا» (برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، صفحة 448) فإن لم تؤمنوا وتتقوا اللهَ وتطيعوا رسوله لا يؤخَّر ذلك الأجل المسمَّى وهي إحالة ضمنية إلى التعجيل بالأخذ بالعذاب الأليم؛ لقد اعتمد نوح قانون الشمول فهو « ضمن هذا الأساس يعمد إلى إعطاء عدد من المعلومات من الضرورة أن تكون شاملة وعامة» (ذهبية الحاج حمو، صفحة 192) إذ زود قومه بما يمكن أن يبعد عنهم الأذى وبما يمكن أن يجلب إليهم سعادة الدّنيا والآخرة.

د. **مراعاة زمن الدّعوة**: « رب إني دعوت قومي ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا »يبدأ نوح –عليه السلام– بفعل كلام تأثيري(رب) نداء وهو إقرار بربوبية الله تعالى و بعجز نوح – عليه السلام– و ضعفه بين ربه ولجوئه إليه، يلي ذلك تأكيد «إني دعوت قومي» إذ يؤكّد دعوته قومه و هو فعل إثباتي تقريري تكمن قوته الإنجازية في الإقرار بتنفيذ أمر الله الذي أمَره بإنذار قومه و لتأكيد القوة الإنجازية لهذا الامتثال يأتي الملفوظ (قومي) الذين أمره الله تعالى بدعوتهم و يؤكّد نوح – عليه السلام– مراعاته لسياق الدّعوة؛ فهو لم يتوقف ليلا و نهارا مراعيا زمن استجابتهَم أي الوقت «الذي يتوسَّم فيه أنَّهم أقرب إلى فهم دعوته منهم في غيره من أوقات النّهار ومن أوقات الهدوء وراحة البال وهي أوقات اللّيل» (محمد الطّاهر بن عاشور، 1984، صفحة 194)؛ غير أنَّ حرصه على دعوتهم لم يزدهم إلاّ إنكارا «فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا » ملفوظ وصفي إثباتي؛ نفي استجابتهم لدعوته بل فرارهم من دعوته ولتأكيد حرصه على دعوة قومه يأتي التوكيد « و إني كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا» إذ يأتي المؤشّر الزّمني (كلّما) ليؤكّد تكراره

واستمرا ره في دعوتهم مرغّبا إيَّاهم في إتباعه لغفران ذنوبهم غير أنَّ قومه «جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وَ أصروا واستكبروا استكبارا »جملة من الأفعال الكلامية المتتالية التي تثبت رفضهم للدّعوة و مبالغتهم في ذلك؛ إذ جعلوا أصابعهم في آذانهم «للمبالغة في إرادة سدّ المسامع، بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلّها» (محمد الطّاهر بن عاشور، 1984، صفَحة 195)، إذ يأتي سدُّ الآذان (محمد العبد، 2007، صفحة 171) حائلا أمام وصول الصوت وبالتالي وصول دعوته إلى آذانهم و لتقوية القوة الإنجازية لرفضهم دعوته «واستغشوا ثيابهم» أي وضعوا ثيابهم غطاء على أعينهم حتّى لا يروا إشارته؛ وهذا يحيل إلى معنى متضمّن هو لجوء نوح– عليه السلام– إلى الإشارة لدعوة قومه بعد أن سدُّوا آذانهم، إذ يؤكّد هَذا السلوك إصرارهم على قطع التّواصل مع نوح إذ أنَّ «الامتناع عن طريق السمع والبصر والجمع بينهما تأكيد مضموم إلى تأكيد الإصرار على عدم الاستجابة» (عيد بلبع، 2113، صفحة 140) و لتقوية القوة الإنجازية لهذا الرفض «و أصروا واستكبروا استكبارا »؛ استكبارهم على دعوته ولتقوية هذا الحرص والإصرار يأتي التّأكيد بالمصدر (استكبارا) تحيل الأفعال الكلامية السابقة إلى معان متضمنة:

- حرص نوح–عليه السلام– على دعوة قومه وإصرارهم على رفض الدّعوة.
- تناسب الأفعال الكلامية للسياق سواء من نوح–عليه السلام– من خلال حرصه على دعوتهم باللّغة والإشارة، وحرصهم — قومه– على رفض الدّعوة وقطع التواصل معه بسدّ الآذان واستغشاء الثّياب والإصرار والاستكبار.
- إنَّ هذه التّأكيدات من نوح–عليه السلام– لربّه تحيل على إقراره باجتهاده في دعوة قومه حتى لم يعد هناك منفذ للتواصل معهم.

هـ. مراعاة كيفيات الدّعوة: «ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم و أسررت لهم إسرارا »مرة أخرى يقر نوح مراعاته كيفيات الدّعوة حسب مراحل دعوته وطبيعة المتلقي وهذا يحيل إلى معنى متضمن هو إقرار نوح حرصه على دعوة قومه؛ إذ بدأ بالدّعوة «جهارا» وهو «عموم الإظهار والمبالغة فيه ... ولا تقول جهرت به إلاّ إذا أظهرته للجماعة الكثيرة وأصله رفع الصوت». (أبو هلال العسكري، صفحة 286)

- «أعلنت» الإعلان: «الإعلان خلاف الكتمان، وهو إظهار المعنى للنفس ولا يقتضي رفع الصوت». (أبو هلال العسكري، صفحة 286)

- «أسررت» الإسرار: أي خفية فيما بينه وبين متلقي الدّعوة، وعادة ما يكون مع الذين يخشون على أنفسهم أذى.؛ وتحيل هذه الكيفيات على حرص نوح –عليه السلام–على سلامة من يدعوهم من جهة وكذا استغراق كل كيفية لمدّة زمنية حسب طبيعة مراحل الدّعوة؛ يؤكّد ذلك توظيفه لـ (ثم) التي تكون للتراخي فكل كيفية تستغرق مدّة زمني

و. **الترّغيب في الاستغفار**: يرغّب نوح– عليه السلام– قومه «فقلت استغفروا ربكم إنّه كان غفّارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، و يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات و يجعل لكم أنهارا »في الاستغفار لما له من منافع أخروية «إنّه كان غفّارا» « فهو مسبل الستر على الذّنوب في الدّنيا ومتجاوز عن عقوبتها في الآخرة» (نذير حمدان، 1991، صفحة 244) إضافة إلى المنافع الدّنيوية « يرسل السماء عليكم مدرارا ، و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنّات و يجعل لكم أنهارا » كل ما يترتّب عن الاستغفار وعد من الله تعالى على لسان نبيه لأنّ الوعد «فضل الله عز وجل و نعمته (أبو عبد الله ابن أبي زمنين المالكي، 1415هـ، صفحة 256)؛ إنزال المطر المدرار والإمداد بالمال والبنين والماء للجنّات والأنهار؛ إنّ هذه الثمرات هي نتاج للاستغفار و هي وعد من نوح لقومه ترغيبا لهم في الاستغفار الذي يكون بإخلاصهم في طلب المغفرة من ربهم.

ي. **التّذكير بآيات الله**: «ما لكم لا ترجون لله وقارا ،و قد خلقكم أطوارا، ألم تروا كيف خلق سبع سموات طباقا ، و جعل القمر فيهن نورا وجعل الشّمس سراجا ، و الله انبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها و يخرجكم إخراجا ، و الله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا » ؛أخرى يستفهم نوح و تكمن القوة الإنجازية لهذا الاستفهام في إنكاره وتعجبه من عدم إيمانهم ودلائل وحدانيته الله تحيط بهم من كل جانب وكذا النّعم التي أنعم بها عليهم و كلّها تؤكّد انتظام هذا الخلق لتؤكّد أحقية الله تعالى بالعبادة لذا يأتي الاستفهام وكأنّ نوحا يهيئ قومه لأمر يعرضه عليهم وقد بدأ بنعمة الخلق (وقد خلقكم أطوارا) و هي النّعمة التي تترتّب عنها بقية النّعم وهو فعل تقريري إثباتي و صفي مؤكّد تكمن قوته الإنجازية في تعظيم الخالق من خلال خلقه للإنسان حسب أطوار معلومة يتبع باستفهام إنكاري(ألم تروا) إنكار عدم رؤيتهم لدلائل عظمة الله تعالى المحكمة المحيطة بهم و يأتي هذا الاستفهام لتأكيد عظمة الله تعالى من خلال خلقه للسموات السبع و لتدعيم القوة الإنجازية وتأكيدها يأتي بالفعل (جعل) (السامرائي، 2003، صفحة 26)؛ تقديم متعلّق المفعول به «و جعل القمر

فيهن نورا وجعل الشمس سراجا» (لكم) للجملة الفعلية الواقعة خبرا يدلّ على تأكيد جعل الأرض لأجلكم و هذا يدلّ على تكريم الله لكم كما يقدّم الفاعل على الفعل «و الله جعل لكم الأرض بساطا » لتأكيد جعل الأرض بساطا أي أنّ فعل(جعل) من اختصاص الله تعالى وبالتالي الإحالة ضمنا على عجز غير الله – آلهتكم – عن فعل ذلك إنَّ المعنى الضمني لتعداد هذه النعم هو إقرار نوح –عليه السلام –لربه اجتهاده في دعوة قومه من خلال التأكيد — لكم– على وحدانية الله تعالى، غير أنَّ هذا الاجتهاد لم يعدّل سلوك قومه على الرغم من ملامستهم لهذه الحقائق في أنفسهم وفي محيطهم يؤكّد ذلك لجَوءه إلى ربه «رب إنّهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا» يأتي هذا النداء ليؤكّد لجوء نوح إلى ربه وتضرُّعه إليه وإقراره بعدم التأثير في قومه وفي المقابل إتباعهم لمن لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا ولتقوية القوة الإنجازيـة لعصيانهم يأتي التأكيد مرة أخرى «ومكروا مكرا كبارا ، و قالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا» لقد عمد نوح إلى القول المنقول وهو فعل كلام غرضي؛ نهي القوم عن ترك آلهتهم ولتأكيد النهي تأتي زيادة النون فعل كلام غرضي من أفعال التنفيذ وهو نهي تكمن قوته الإنجازية في نصيحة القوم بعدم ترك عبادة آلهتهم ومن ناحية أخرى فعل كلام تأثيري ذلك أنّ الملأ حاولوا التأثير —بل أثّروا — في عقيدة قومهم إذ طلبوا منهم التشبث بالآلـهة و قد نجحوا في ذلك؛ إنّ هذا الملفوظ يدفعنا إلى البحث عن المقام الذي قيل فيه و الذي يسعى من ورائه المتكلم إلى إقناع الآخر وحمله على الإذعان و بالتالي حمل القوم و إقناعهم بضرورة التمسك بآهتهم وكان يمكن الاكتفاء بقولهم(لا تذرنّ آلهتكم) غير أنّ هذا العدول بالزيادة من خلال ذكر الآلهة كل باسمه «ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق و نسرا»؛ إنَّ المعنى المتضمّن لهذا التأكيد هو تحريض القوم ضدّ نوح و من جهة ثانية يؤكّد عجز نوح —عليه السلام –و إقراره بعدم قدرته على مواجهة هذا التعدد؛ يؤكّد ذلك مَن خلال نتائج هذا الفعل التأثيري (وقد أضلّوا كثيرا) فعل كلام إثباتي مؤكّد بـ"قد" ولتأكيد القوة الإنجازية لتأثيرهم في القوم يأتي التأكيد بـ"كثيرا"؛ ليأتي الدعاء «ولا تزد الضالمين إلاّ ضلالا » و هو فعل كلام غرضي تكمن قوته في زيادة ضلال الظالّمين إمعانا منه في عقابهم ؛ إنّ الملفوظ السابق يؤكّد إيمان الكثير من القوم بدعوة نوح ممّا اضطر الملأ إلى تحريض هؤلاء المؤمنين وصدّهم عن الدّعوة بتحريضهم على ضرورة التمسك بالآلهة وقد نجح هذا الفعل التأثيري يؤكّد ذلك نجحهم في ارتداد الكثيرين عن دعوة نوح (وقد أضلّوا كثيرا) ؛إنَّ

كل الأفعال الكلامية السابقة هي تأكيد من نوح –عليه السلام– لربّه على حرصه على دعوة قومه غير أنّهم كانوا في كل مرة يزدادون في ضلالهم؛ لتكون كل تلك الأفعال مبررا للدّعاء عليهم بعد أن يئس من إيمانهم ليأتي الدّعـاء آ «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنّك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفّارا » تكمن القوة الإنجازية لهذا الدّعاء في إهلاك قومه بل الإسراع في إهلاكهم، ويأتي الفعل (يذر) الذي « جاء كثيرا في معرض الغضب والنقمة لأنّه بحركاته المتوالية و حروفه الذّلقة الخفيفة يصور السرعة الخارقة في الأخذ» (دراز، 1986، صفحة 69) ويأتي المؤشّر المكاني (على الأرض) ليجعل دعاءه شاملا لكل ساكني الأرض، وهذا يحيل إلى معنى متضَمن هو أنّ ساكني الأرض كانوا قوم نوح ممَّا يعني أنَّ الطّوفان كان شاملا ويأتي تعليل هذا الدّعاء «إنّك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفّارا » فعل كلام مركّب، إذ أنّ ترك القوم الكافرين دون إهلاكهم يترتّب عنه« يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفّارا» في المقابل يأتي الدّعاء الختامي «رب اغفر لي و لوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين و المؤمنات »هذا الترتيب «بين المتعاطفين على أساس من فكرة الرتبة في الفضيلة والشرف» (الشرقاوي، 1981، صفحة 204) في المقابل يأتي الدّعاء على الظّالمين «ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا» والتّبار هو الهلاك ويؤكّد هذا الملفوظ على الشّحنة الدّلالية ليؤكّد سوء العاقبة لقومه الظّالمين.

خاتمة:

ارتكزت دعوة نوح–عليه السلام– على قضية التوحيد وهي القضية الأساس في دعوة كل الرسل لذا تتبعنا إستراتجية دعوته إذ راعى طبيعة المتلقّي وزمن الاستجابة كما اعتمد الترغيب والترهيب ولامس العاطفة من خلال تأكيده في كل مرة على انتمائه إلى قومه وحرصه على نصحه م وتأكيده خوفه عليهم كما لامس العقل من خلال التذكير بآيات الله المحيطة بهم والتي تؤكّد وحدانية الله تعالى الذي يدعوهم لتوحيده

شكّلت الأفعال الكلامية عماد سورة "نوح" يتحكّم المقام في انتقائها و كذا توجيهها ؛ إذ مازج نوح بين الخبر و الإنشاء لأنّه ينطلق مـن واقع المخاطب الذي تتعدّد معتقداته لأنّ الغاية من الدّعوة توحيد الله تعالى الذي يدعوهم لعبادته و هذا يقتضي تعداد النّعم من خلق للسموات و الأرض والشّمس والقمر...و هذا يقتضي الأفعال الخبرية ؛ كما تؤكّد وحدانية الله تعالى لذا ارتبطت الأفعال الكلامية بنوعيها الإنشائي و الخبري؛ غير أنّ الأفعال الكلامية خرجت إلى معاني

أخرى قصد التّأثير في المتلقي لإقناعه بالمعتقد الجديد بالنّسبة إلى نوح و تكذيب نوح و من آمن بدعوته بالنّسبة إلى الملأ الذين كفروا من قومه.

ترتبط أفعال الكلام بالمقام الذي أسهم في إيجاد هذه البنى اللّغوية التي ترتبط بمقام إنجازها حيث ارتبط الأمر بالدّعاء في حوار نوح مع ربه «رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا»

تواتر الاستفهام في حوار نوح –عليه السلام– مع قومه فكان تقريريا ممهّدا للإنكار وسبق بالنّفي ليحمل المتلقي على الإقرار بوحدانية الله تعالى «ألم تروا كيف خلق سبع سموات طباقا، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » لقد اعتمد نوح على الاستفهام لتحريك أراء المتلقي في مقام يكرس الشّرك ويجعله منهج حياة ،ويستمد سلطته من سلطة جمعية جماعية لذا يعتمد على الاستفهام لإعطاء مساحة للآخر حتى يجيب بنفسه عن نفسه حتى يكون تقبُّل المتلقي للمعتقد الجديد تقبُّلا حسنا مبنيا على الاقتناع وقد أدى اختيار الهمزة دورها لأنّ المستفهم لا ينتظر إجابة بل يحمل الاستفهام إجابته في بنيته اللّغوية التي ترتبط بالمقام

قلّة النّهي في حوار نوح مع قومه لأنّ المقام يتطلّب النّصح والإرشاد؛ غير أنّنا نجده يكثر في مناجاة نوح ربه بغرض الدّعاء وعادة ما يسبق بفعل كلامي تقريري إثباتي للحال التي آل إليها مع قومه «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا» «ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا»

كثرة الأفعال التّعبيرية التي ترصد الحالة النّفسية لنوح–عليه السلام– في حواره مع الله تعالى لأنّه في مقام السلوى ممّا فعله قومه وكذا من خلال توجهه بالدّعاء لله تعالى.

الهوامش:

المؤلفات

جمال الدّين محمد أبو الفضل، بن مكرم، و الإفريقي بن منظور . (بلا تاريخ). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

أبو عبد الله ابن أبي زمنين المالكي. (1415 هـ). رياض الجنّة بتخريج أصول أهل السنّة، تحق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسن البخاري (الإصدار ط 1). المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء.

أبو هلال العسكري. (بلا تاريخ). الفروق اللّغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

أرمينكو فرانسواز. (1986). المقاربة التّداولية. (تر: سعيد علّوش، المترجمون) الرباط: مركز الإنماء القومي.

الحاج محمد وصفي. (1997). الارتباط الزمني و العقائدي بين الأنبياء و الرسل (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم للطّباعة و النّشر و التّوزيع.

آن روبول موشلر جاك. (2003). التداولية اليوم، علم جديد في التواصل (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الطّليعة للطّباعة و النّشر.

أوستين. (1991). نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات. (تر:عبد القادر قينيني، المترجمون) المغرب.

برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. (بلا تاريخ). نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور (المجلد ج20). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

بلانشي فيليب. (2007). التداولية من أوستن إلى غوفمان (الإصدار ط1). (تر: صابر الحباشة، المترجمون) اللاّذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

ذهبية الحاج حمو. (بلا تاريخ). لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب (الإصدار ط2). تيزي وزو، الجزائر: الأمل للطّباعة والنّشر.

صابر الحباشة. (2010). لسانيات الخطاب الأسلوبية و التلفظ و التداولية (الإصدار ط1). سوريا: دار الحوار.

صباح دراز. (1986). أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (الإصدار 1). مصر: مطبعة الأمانة.

صحراوي مسعود. (2005). التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الطّليعة للطّباعة و النّشر.

صلاح إسماعيل عبدالحق. (1993). التحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد (الإصدار ط 1). بيروت، لبنان: دار التنوير للطّباعة و النّشر.

طه عبد الرحمن .(s.d.) . تجديد المنهج في تقويم التراث .éd)ط2 .(الدّار البيضاء, المغرب: المركز الثّقافي العربي.

ع عبد الله صولة. (بلا تاريخ). الحجاج أطُره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج. الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتكاه. ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية.

عبد العزيز عتيق. (2009). علم المعاني (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار النّهضة العربية.

عفت الشّرقاوي. (1981). بلاغة العطف في القرآن الكريم – دراسة أسلوبية. بيروت: دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر.

عمر بلخير. (2008). تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النّظرية التداولية (الإصدار ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.

عيد بلبع. (2113). سيميائية الكتابة وحتمية الضّابط الـ سياقي للصيرورة التأويلية قراءة في الكتابة القرآنية، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب. ، (الإصدار ط1). (إشراف د/ حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، المترجمون) عمان، المملكة الهاشمية الأردنية: كنوز المعرفة.

فاضل السامرائي. (2003). معاني النحو (المجلد 2). القاهرة: شركة العاتك للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

فان دايك. (2000). النّص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي التّداولي. (تر: عبد القادر قنيني، المترجمون) المغرب،.

فخر الدّين الرازي. (2003). مفاتيح الغيب (المجلد مج9). القاهرة: المكتبة التوفيقية.

مانغونو دومينيك. (2008). المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب (الإصدار ط1). (منشورات الاختلاف، المحرر، و تر: محمد يحياتن، المترجمون) الجزائر: الدّار العربية للعلوم ناشرون.

محمد الطّاهر بن عاشور. (1984). التحرير والتنوير (المجلد ج29). تونس: الدار التونسية للنّشر.

محمد العبد. (2007). العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال (الإصدار ط 1). القاهرة: مكتبة الآداب.

محمد العمري. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي. المغرب: إفريقيا الشّرق.

محمد عابد الجابري. (2007). في التعريف بالقرآن الكريم (الإصدار ط2، المجلد ،ج1). المغرب: دار النّشر المغربية.

محمود أحمد نحلة. (2002). آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم .(1998) .أساس البلاغة .(Vol.ج1) .(م. م. علي &., Éd , ت. م. السود (.Trad ,بيروت, لبنان: دار الكتاب العلمية.

محمود عكاشة. (2013). النّظرية البراجماتية اللّسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ. القاهرة: مكتبة الأدب.

نذير حمدان. (1991). الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم (الإصدار ط 1). جدّة، السعودية: دار المنارة.

هشام عبد الله الخليفة. (2007). نظرية الفعل الكلامي بين علم اللّغة الحديث و المباحث اللّغوية في التراث العربي و الإسلامي (الإصدار ط 1). (ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر، المحرر) لونجمان: مكتبة لبنان.

هشام عبد الله الخليفة. (بلا تاريخ). نظرية الفعل الكلامي.

طه عبدالرحمن. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (الإصدار ط2). الدّار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد السلام هارون. (2001). الأساليب الإنشائية في النّحو العربي (الإصدار ط5). مصر: مكتبة الخانجي.

يونس محمود. (2004). مقدمة في علمي الدّلالة والتخاطب (الإصدار ط1). دار الكتاب الحديثة المتحدة.

أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي. (بلا تاريخ). تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (المجلد ج 2). (تحق: عبد القادر احمد عطا، المترجمون) الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. (2006). الجامع لأحكام القرآن، و المبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (الإصدار ط1، المجلد ج1). (تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، المترجمون) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

المجلات:

نصيرة الغماري. (2006). نظرية أفعال الكلام عند أوستين. (قسم اللّغة العربية و آدابها ،كلية الآداب و اللّغات ،، المحرر) ع 17، صفحة ص 82.

المذكرات والرسائل الجامعية:

عبد الصمد عبد الله محمد. (1995). خطاب الأنبياء في القرآن الكريم ، خصائصه التركيبية و صوره البيانية. رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه في البلاغة والنّقد تحت إشراف : عبد اللّطيف خليف، قسم الدّراسات العليا العربية فرع الأدب كلية اللغة العربية، المملكةالعربية السعودية.

مراجع أجنبية

Alain Boissinot, A. (1992). *Les textes argumentatifs , collection Didactiques.* Lacoste: Bertrand.

Catherine Kerbrat-Orecchioni. (s.d.). *L'implicite,.* Paris: Armand Colin.

Ducrot D. (s.d.). *dire et ne pas dire ,collection Savoir.* Paris: Hermann.

Ducrot Oswald. (1972). *dire et ne pas dire.* Paris: collection Savoir Hermann.

J.L Austin. (s.d.). *Quand dire c'est faire.*

J.L.Austin. (1970.). *Quand dire c'est faire.introduction, traduction et commentaire par Giles lane.* Paris: Editon du seuil.

Maingueneau Dominique. (1997). *Pragmatique pour le discours litteraire.* paris.

O. Ducrot. (1984). *le dire et le dit.* Paris: les éditions de minuit.

Voire J.R Searle. (1972). *Les actes de langage, Essai de Philosophie du Langage.* Paris: Herman.